

التفسير المطول -سورة غافر 040- الدرس (19-20): تفسير الآيات 65-77 الله هو الحي في ذاته ومصدر حياة الخلق.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-10-1993

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس التاسع عشر من سورة غافر، ومع الآية الخامسة والستين، وهي قوله تعالى:

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (65)

سورة غافر

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

1 . الحياة صفة من صفات الله:

الحياة من صفات الله عز وجل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ربنا عز وجل يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ (24)

سورة الأنفال

2 . دعوة إلهية إلى الحياة الحقيقية:

قد تجد إنساناً في أعلى درجات الصحة والنشاط والقوة، وهو في حكم الله ميت.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

عدي بن الرعلاء

"يا بني، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر" الإنسان -كما تعلمون أيها الإخوة- جسد، والجسد له مظاهر تؤكد أنه حي، وجيب قلبه، وجيب رثتيه، تأثر المنعكسات، حركة

الأعصاب، هناك دلائل تؤكد أن الإنسان حي، لكن قلب الإنسان، بل قلب نفسه أيضاً يموت ويحيا، يحيا القلب بذكر الله، ويموت بالبعد عنه، فكم ترى من الأحياء وهم في أوج قوتهم ونشاطهم هم في حكم الله أموات، وربنا عز وجل يقول:

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)

سورة النحل

وعندما قال ربنا عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فدعوة الله لحياة أبدية سرمدية، لأن الله هو الحي، وكل من اتصل به كان قلبه حياً، وكل من انقطع عنه كان قلبه ميتاً، القلوب تحيا، وتلين، وتمتلئ رحمةً بالقرب من الله، وتموت وتقسو، وتصبح كالصخر، كالصحراء بالبعد عن الله، وكل إنسان إذا اقترب من الله بالاستقامة على أمره والعمل الصالح ذاق طعم الإيمان.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

سورة البقرة

هو حي، ومصدر حياة المخلوقات، حياة أجسادهم وحياة نفوسهم، وحياة قلوبهم وحياة عقولهم.

3. الإنسان في حياته مفقر إلى الله:

وقد ذكرت من قبل أن الإنسان في جوهره مفقر إلى الله، الإنسان ضعيف بالأصل.

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)

سورة المعارج

الإنسان خلق عجولاً، خلق ضعيفاً، خلق هلوعاً، منوعاً، جزوعاً، هذه صفات، وهي صفات ضعفٍ لكن لصالحه، لكن الله سبحانه وتعالى غني عن عباده.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

صحيح مسلم عن أبي ذر

الله عز وجل واحدٌ أحدٌ فردٌ صمد، لا يستمدُّ حياته من غيره، ولا نفعه من غيره، ولا تستطيع كل الخلائق أن تنفعه أو أن تضره، لذلك الله عز وجل صمد، ذاتي الوجود، ذاتٌ كاملة، واجب الوجود، خالق، رب، إله، موجود، كامل، واحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، والإنسان مفقر إلى الله عز وجل، فجسمه مفقر إلى غذاء، وقلبه مفقر إلى ذكر، وعقله مفقر إلى علم.

من هم أشقى الناس؟ الذين اعتنوا بأجسادهم فقط، وماتت قلوبهم، وضعفت عقولهم، هم أنكروا إنسانيتهم، وما عرفوا قيمتهم، ربنا عز وجل قال:

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)

سورة الحشر

يتوهم بعضهم أن الله أنساهم أنفسهم، وفي بعض التفاسير: أن نسيانهم لله هو الذي أنساهم أنفسهم، عندما نسيت ربك فقد جهلت قيمة إنسانيتك، وما عرفت أين كنت، وماذا بعد الموت؟ وما عرفت سر وجودك، وما عرفت حقيقة وجودك، وما بحثت عن طبيعتك العظيمة، وأنت مخلوق أول.

إذًا: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ مصدر حياة الكون، هو حي في ذاته، ومصدر حياة الكون، كما تقول: رحمن رحيم، رحمن في ذاته، رحيم في أفعاله، هو حي إذا من صفاته الحياة، وكل من اتصل به أصبح قلبه حياً، عاش حياته الإنسانية، والحقيقة أن المؤمن حينما يلتقي بغير المؤمن يشعر أنه ميت ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ﴾.

الكافر يبني حياته على الأخذ، والمؤمن يبنيها على العطاء:

مادى النزعة، ضيق الأفق، أناني الصفة، يحب ذاته، يحب أن يحيا، ويموت الآخرون، يحب أن يرقى، وينخفض الآخرون، يبني مجده على أنقاض الآخرين، يبني غناه على فقرهم، يبني سعادته على شقائهم، يبني أمنه على خوفهم، يبني وجوده على فنائهم، هذا الكافر ميت، لو نشد الإنسان السعادة في العطاء لا في الأخذ، فمعظم الناس يظنون أن السعادة في الأخذ، فالكافر قد بنى حياته على الأخذ، على أخذ أموال الآخرين، على أخذ خبرات الآخرين، على أخذ خدمات الآخرين، على استعباد من دونه، على استغلال من دونه.

المؤمن بالعكس بنى حياته على العطاء، المؤمن يبني سعادته مع ربه على أنه خير في طبعه، يعطي مما عنده، ربنا عز وجل وصف المتقين بصفة جامعة مانعة، قال تعالى:

الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

سورة البقرة

الله ماذا رزقك؟ رزقك قوة، ابذلها في خدمة الآخرين، رزقك مالاً، أنفقه للفقراء والمسلمين، رزقك جاهاً، اجعله في خدمة المظلومين، رزقك علماً، اجعله في خدمة الجاهلين، هذا المؤمن بنى حياته على العطاء لا على الأخذ، وسعادته على أنه يعطي، لا على أنه يأخذ، لذلك قالوا: إذا أردت أن تعرف أنك من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة فانظر ما الذي يسعدك، الأخذ أم العطاء؟ أن تقبض المال أم أن تنفقه؟ أن تستغل خدمات الناس أم أن تخدمهم؟ أن تأخذ مالهم أم أن تعطيمهم من مالك؟ ما الذي يسعدك الأخذ

أم العطاء؟ إن كان الذي يسعدك هو الأخذ فأنت من أهل الدنيا، وإن كان الذي يسعدك العطاء فأنت من أهل الآخرة.

ماذا فعل الأنبياء؟ جاؤوا إلى الدنيا، وغادروها ولم يأخذوا شيئاً، أعطوا كل شيء، ولم يأخذوا شيئاً، سعادة البشرية بفضلهم، وبهدايتهم، وبعطائهم؛ ماذا فعل نقيض الأنبياء الذين هم على الطرف الآخر؟ أخذوا كل شيء، ولم يعطوا شيئاً، والمؤمن يأخذ ويعطي.

لكن أنت انظر، ميزان تجاري، فأيهما أكثر في ميزانك الأخذ أم العطاء؟ إن كان الذي يرجح في حياتك هو الأخذ فأنت أقرب إلى الدنيا وأبعد عن الآخرة، وإذا كان ميزانك ترجح كفة العطاء فيه فأنت أقرب إلى الآخرة، وأبعد عن الدنيا.

4. إذا أردت الحياة فاتصل بالحي:

لذلك ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ إذا أردت الحياة فاتصل بالحي، إذا أردت حياة قلبك، إذا أردت أن تعيش إنسانيتك، أن تعيش حياة راقية.

هذه الحياة أيها الإخوة، حياتنا الدنيا أكثر الناس يذمونها، يقول لك: ما أحد مرتاح فيها، وهذا صحيح، لأنه:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا أَنْسَى الْيَوْمَ نَسِي (126)

سورة طه

لذلك قال بعض العارفين: "مساكين أهل الدنيا، جاؤوا إليها وغادروها، ولم يذوقوا أطيّب ما فيها، قيل: ما أطيّب ما فيها؟ قال: ذكر الله".

وقال بعضهم: "أتت عليّ ساعةٌ قلت فيها: إذا كانت حال أهل الجنّة كما أشعر فهم في حياة طيبة".

وبعضهم قال: "أبو بكرٍ في الجنّة"، الآن في الجنّة، في جنّة القرب، وهناك جحيم البُعد، فالمؤمن في جنّة القرب، لذلك قالوا: هناك جنّة في الدنيا، إن لم تدخلها فلن تدخل جنّة الآخرة، وهذا مصداق قول الله عزّ وجل:

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ (46)

سورة الرحمن

فلذلك الله عزّ وجل حي، إذا أردت الحياة فاتصل به، وأسباب الاتصال بين يديك؛ استقم على أمره، واخدم خلقه وانتهى الأمر، إذا صليت تتصل به، وتشعر بمعنى القرب، كلهم عباده لا تفرّق بين إنسان وإنسان، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أحبُّ الناسِ إلى الله عزَّ وجلَّ أنفعهم للناسِ.

رواه الطبراني

لا تشعر بمعنى القرب إلا إذا أخلصت للخلق، فلو كنت صاحب متجر فانصح الناس، لا تكذب أبداً، خذ الثمن المعقول، لا تستغل جهل المشتري، فلا تقل: هذا المشتري جهول، وهذا مكسب لي، عامله كما لو أن الله وكيله، عامله كما لو أن الله يراقبك، وهو يراقبك أساساً.

إن عرفت الله عرفت كلَّ شيء:

موضوع الدين فهمه الناس صلاةً وصوماً، فهموه طقوساً، الدين أعمق من ذلك، الدين عندما تعامل الناس كلهم على أنهم عباد الله، تتقرب إلى الله بخدمتهم، تتقرب إلى الله بنصحهم، تتقرب إلى الله بدلالتهم على الله عزَّ وجلَّ، تتقرب إلى الله بإكرامهم، فلذلك في الكون حقيقة واحدة هي الله، إن عرفته عرفت كل شيء، إن اتصلت به وصلت إلى كل شيء، إذا كان الله معك فمن عليك؟ إذا وجدته فما فقدت شيئاً، وإذا فقدته فما وجدت شيئاً، هذا هو الدين.

أحياناً نحن بحاجة إلى أصول تجمعنا، لا إلى تفاصيل تضيّع الإنسان، الدين اتصال بالله، الاتصال ثمنه الاستقامة والعمل الصالح، الاتصال مُسعد، لذلك ممكن أن تسكن في غرفة صغيرة، وتأكل أخشن الطعام، وترتدي أرخص الثياب، وأن تكون موصولاً بالله فأنت أسعد الخلق، ويمكن أن تسكن في أجمل بيت، وأن ترتدي أجمل الثياب، وأن تأكل أطيب الطعام، فإذا كنت منقطعاً عن الله عزَّ وجلَّ فأنت أشقى الخلق، لذلك:

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)

سورة فاطر

عندما يرحم ربنا عزَّ وجلَّ مخلوقاً فقد سعد في الدنيا والآخرة، بكل ظرف من ظروفه تجده سعيداً، والدنيا مؤقتة، والدنيا جيفة طلابها كلابها، والدنيا دار من لا دار الله، ولها يسعى من لا عقل له، وما أكثر ما ضحكت الدنيا على العباقرة وعلى كبراء الناس، لكن قلَّة من الذين عرفوا الله عزَّ وجلَّ ضحكوا عليها، وسخروا منها، وطلَّقوها بالثلاث، وجعلوها في أيديهم، ولم يجعلوها في قلوبهم، ما حجبتهم عن الله عزَّ وجلَّ، ولا صرفتهم عن طاعة، ولا إلى مخالفة. فالآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

سورة الأنفال

الإنسان حي أو ميت، بصرف النظر عن جسده، حي، ضغطه ثمانية، اثنا عشر، نبضه سبعون، دقات قلبه نظامية، أجرى فحوصاً والنتائج إيجابية تامة، قال له الطبيب: ما بك خلل إطلاقاً، ولكن قلبه ميت، لم نستقد شيئاً، البطولة أن يكون قلبك حياً بذكر الله، لذلك: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

1 . العلاقة الإيجابية بين السلوك والتوحيد:

بالمناسبة أيها الأخ الكريم: هناك علاقة بين السلوك والتوحيد، والإخلاص والتوحيد، إخلاصك بقدر توحيدك، الله قال:

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ الإنسان متى يُقَطِّعَ آماله من الخلق؟ أنت إذا دخلت إلى دائرة متى تتصرف عن كل الموظَّفين، وتتجه إلى المدير العام؟ إذا أيقنت أن كل هؤلاء لا ينفعونك، وأن الموافقة بيد واحد في هذه الدائرة كلها، فإذا أيقنت أن الأمر بيد واحد انصرفت عن هؤلاء جميعاً إلى من بيده الأمر، أما إذا توهمت أن هذا الأذن له علاقة، والعامل على الآلة الكاتبة له علاقة، ورئيس الدائرة له علاقة تضطر أن تتمزق، تتوزع بين فلان وفلان وفلان وعلان، ترجو هذا، وتترضى هذا، وتتملق لهذا، وتخاف أن يغضب هذا، لذلك:

من جعل الهموم همًا واحدًا همَّ آخرته؛ كفاه الله همَّ دنياه.

الألباني بسند ضعيف

اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها.

ضعيف الجامع

وسر سعادة المؤمن، أن علاقاته بسيطة جداً، علاقته مع ربه فقط، وربّه بيده كل شيء.

فليتك تحلو والحياة مريرةً وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينني وبين العالمين خراب

إذا صحَّ منك الوصل فالكلّ هينٌ وكل الذي فوق التراب تراب

أبو فراس الحمداني

الكافر ممزق، مُشَتَّت، مُبعثر، مُشرذم، الناس كلهم آلهة عنده، كل هؤلاء الناس بتوهمه بإمكانهم أن ينفعوه، يتملقهم جميعاً، يخشى أن يغضبوا، فيعصي الله من أجلهم، يبيع دينه من أجل إرضائهم، ومع ذلك فالله عز وجل لا يرضيهم عنه، لأنه:

من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا

الناس بسخط الله ، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس.

أخرجه الترمذي

فلذلك أيها الإخوة، حقيقة واحدة هي: الله هو الخالق، هو الرب، هو المسير، هو المحي، هو المميت، هو الرازق، هو الرافع هو الخافض، هو المعطي، هو المانع، هو القابض، هو الباسط، هو المُعز، هو المُذل، هو المُسعد، هو المُشقي، هو الغفور، هو الرحيم، أمرك كله بيده، فإذا عرفته عرفت كل شيء.

هو الحي، أحب أن تحيا حياةً أبديةً؟ التزم أمر الله ونهيه، أحب أن يكون جسمك في أعلى درجات النشاط وقلبك ميّت؟ ابتعد عنه.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا هو التوحيد.

2. أهمية التوحيد:

وبعضهم قال: إنني أركّز على التوحيد، والله معي حق، لأنه لا شيء يدفعك إلى معصية الله كالشرك، لا شيء يبعدك عن الإخلاص كالشرك، فالإخلاص يحتاج إلى توحيد، والاستقامة تحتاج إلى توحيد، أنت لن تستقيم، ولن تخلص إلا إذا أيقنت أنه لا إله إلا الله. لذلك:

لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنباً.

ابن ماجه بسند ضعيف

وكما قال الله عزّ وجل في الحديث القدسي:

لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

الجامع الصغير بسند ضعيف

3. تعامل مع الله مباشرةً بالسؤال والدعاء:

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فعلى الإنسان أيها الإخوة، أن يتعامل مع الله تعاملاً مباشراً، أليست لك حاجات عند الله عزّ وجل؟ ألا توجد لديك قائمة مشكلات؟ تدعو من؟ تجد الإنسان المشرك يبذل ماء وجهه أمام فلان، وأمام علان، وهو يتمسك ويتضعع.

مَنْ دَخَلَ عَلَيَّ غَنِيٍّ فَتَضَعَّعَ لَهُ ذَهَبَ ثُلُثًا بَيْنَهُ.

من الجامع الصغير بسند ضعيف

أليس لك ثقة بالله عزّ وجل؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع.

الألباني بسند ضعيف

إن الله يحب أن تسأله ملح طعامك.

مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ.

إن الله يحب الملحّين في الدعاء .

البيهقي في شعبه

فَإِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جَلًّا وَعَزًّا فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

مسند أحمد عن أبي هريرة

أليست لك حاجة عند الله؟ أما عندك ولا مشكلة في حياتك؟ اسأله، ولكن لا تجرّب، فالله لا يُجرّب ولا يُشارط، إلهٌ عظيم، تُب إليه، واصطلح معه، واسترضه، فاللؤماء لا يُسترضون، فمهما اعتذرت، ومهما تذللّت لا يرضى، لكن الله يُسترضى، قال عليه الصلاة والسلام:

إن صدقة السر تطفئ غضب الرب.

أخرجه الطبراني

وقال كذلك:

إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل.

تخريج أحاديث الإحياء بسند ضعيف

زلت قدمك، استرضه بعمل صالح، بخدمة خلقه، بصدقة، بعمل طيب لعباده دون أن تذكره لأحد، فالله يُسترضى، ألم تذوق طعم الصلح مع الله؟ ألم تذوق طعم التوبة إليه؟ طعم الإقبال عليه، طعم السعادة في ظلّه؟

أحياناً يتحرّك الإنسان فيعرف أن هناك شخصاً كبيراً يحبّه، ويده طائلة، فتجده يمشي براحة نفسية، لكن المؤمن أسعد من هذا، يتحرّك في الدنيا، ويعلم علم اليقين أن الله معه، وأن الله يحبّه، وأن الله بيده كل أعدائه، وكل خصومه، وأنه إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ هذا الشعور وحده لا يُقدّر بثمن.

قال لي أخ طبيب: الشيء المؤسف أن معظم الأمراض أسبابها نفسية، وأنا أقول لكم: أسبابها الشرك بالله، خوف، شعور بالقهر، شعور بالحرمان، شعور بالخوف، شعورك أن أمرك بيد فلان، وفلان لا يحبك، وسوف يقضي عليك، والله هذه الفكرة وحدها تحطم الإنسان، أما التوحيد فيعني أن أمرك بيد الله.

من دُونِهِ ۖ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)

سورة هود

هذا الشعور مُسعد، أحياناً يرتب الإنسان بيته، يرتب أوراقه، يرتب مكتبته، يقوم بجرّد يقول لك: هذه لا تلمني فيلقياها في سلة المهملات، هذه أحتاجها، أليس من المناسب أن تُجري جرّداً بعلاقتك مع الله؟ هذه البنود لا ترضيه، دعها، هذه ترضيه فأقبل عليها، ما الذي يرضيه؟

لا تنسوا الحديث القدسي الذي رواه سيدنا ابن عمر عن رسول الله، والنبّي رواه عن ربّه، يقول الله عزّ وجل:

من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين.

الترمذي بسند ضعيف

4. عليك بالكتاب المقرّر:

فأنت بحاجة إلى مجلس علم، بحاجة إلى منهل، بحاجة إلى أن يستنير قلبك، أن يستنير عقلك، بحاجة إلى فهم كتاب ربك، هذا الكتاب المقرّر.

بربكم إذا كان عند طالب امتحان بعد أسبوع، والمادّة أساسيّة، وهي للتخرّج، وعنده مكتبة تملأ أربعة جدران من الأرض إلى السقف، فيها عشرة آلاف كتاب، أليس الكتاب المقرّر هو الأساسي؟ هذا القرآن كتابنا المقرّر، نحاسب على مدى فهمنا له، على مدى تطبيقنا له، على مدى طلبنا للعلم به، هذا هو الكتاب المقرّر، ولذلك فالإنسان من دون علم يكون كالبهيمة عطل إنسانيّته.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

لو رأيت ما يجري في الكون لحمدت الله:

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عميقة جداً، ألا ترى في الكون مشكلات، وفيضانات، وزلازل، وحروباً أهليّة، وفقراً مدقعاً، وناساً هاموا على وجوههم؟ أليس هناك مأس لا يعلمها إلا الله؟ لو تعمّقت، لو تعمّقت لوجدت أن كل ما يجري في الكون ملخصه: الحمد لله رب العالمين، لكن الطفل الصغير إن رأى رجلاً يمسك المَبْضَع، ويفتح البطن، والدم يخرج، وقلبه قاسٍ، هذا الطفل لجهله بعمل الطبيب ورحمته فإنه ينتقده، لكن أهل المريض الراشدين يعطون هذا الطبيب المال والشكر، والمودّة، وكل ما يملأ قلبه غنى، لأن عمله لصالح مريضهم.

فما يجري في الأرض من شيء تستكره أنت هو محضُ حكمةٍ، ومحضُ عدلٍ، ومحضُ رحمةٍ، ومحضُ تربيّةٍ، ومحضُ علاجٍ، يجب أن تتق بالله عزّ وجل، ليس معنى هذا ألاّ تعين الناس، بل أعنهم، وابذل جهدك في خدمتهم، وخفّف من آلامهم، لكن دون أن تنتهم الله عزّ وجل، والله في خلقه شؤون.

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)

سورة القصص

فإذا اعتبرت أن المسلمين الآن مستضعفين في العالم، وكل القوى الشريرة تريد أن تنال منهم هم مستضعفون، لكن تنطبق عليهم هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ على كل، ماذا تملك أنت؟ تملك أن تقيم الإسلام في بيتك، وتملك أن تقيم الإسلام في عملك، فإذا فعلت في هذين الحقلين نجوت من عذاب الله، ونجوت من المسؤولية التي سوف تُسأل عنها يوم القيامة. إذا: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ حي في ذاته، ومصدر حياة الخلق جميعاً، ولا سيما حياة قلوبهم.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الأمر كله بيده، وكلما ازداد توحيدك يزداد إخلاصك، وكلما ازداد التوحيد ازدادت طاعتك، الطاعة والإخلاص مرتبطان بالتوحيد، كلما توهمت أن فلاناً بيده نفعك فتطيعه وتعصي الله، أما إذا أيقنت أنه لا شيء، وهو صفر اليدين تتركه وتنطلق إلى الله، هذا ملخص الكلام، فالتوحيد يعينك على الطاعة، والتوحيد يعينك على الإخلاص، وما عصى أحد ربه إلا لضعف في توحيده، وما ضعف إخلاص عبد إلا لضعف في توحيده، إذا: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾.

اسأل الذي يجيب المضطر إذا دعاه:

اسأله، اطلب منه في الصلاة، خارج الصلاة، في أي وقت.

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (62)

سورة النمل

اثنتا عشرة آية في القرآن.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ (219)

سورة البقرة

اثنتا عشرة آية فيها "يسألونك"، وبين "يسألونك" وبين الجواب: "قل"، أي أنت الوسيط يا محمد، إلا آية واحدة:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

سورة البقرة

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (66)

سورة غافر

فهل من الممكن لإنسان بعد أن عرف الله، بعد أن تشرف قلبه بذكر الله، بعد أن رأى أن الأمر بيد الله، هل من الممكن أن يعبد غير الله عز وجل؟ قد يقول أحدكم: غير معقول. أيها الإخوة، أن يضع واحد صنماً، ويعبده هذه مستحيلة، في العالم الإسلامي كله هذه مستحيلة.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَيْسَسُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلِّونَ، وَلَكِنْ فِي النَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ.

الترمذي

إن أخوف ما أتخوف على أمتي، الإشراك بالله، أما إنني لست أقول يعبدون شمساً، ولا قمراً، ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله، وشهوة خفية.

ابن ماجه بسند ضعيف جداً.

هذه بطلت، انتهت، ولكن عندما يطيع الإنسان مخلوقاً، وينسى ربه، جعله إلهاً، فقد عبده من دون الله، قال: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

لا إله إلا الله، ما سوى الله كلهم دونه، الكون كله دونه، فإذا عبت الله فقد نجحت وأفلحت، ما معنى عبت؟

معنى العبادة:

العبادة منتهى الخضوع، منتهى الطاعة، منتهى الإخلاص، منتهى الحب، منتهى الولاء، العبادة تكون لله وحده، للخالق، للمسيّر، للرب، للسميع، للبصير، للقوي، للغني، لمن يستجيب لك، لمن يستمع إليك، لمن يعلم ما يخفيه قلبك، هذه العبادة، فإذا توجهت بعبادتك لغير الله عز وجل تكون قد خسرت خسارة كبيرة، لأن غير الله عز وجل عبد مثلك فقير، ضعيف، لئيم أحياناً، ليس أهلاً أن تعبده من دون الله؟ لذلك: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

1. لا بد من العلم:

ولا سيما ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لذلك عندما يرتاد مجالس العلم، فقلبه يستنير، وعقله يستنير كذلك، فهذا يُحاسب حساباً خاصاً، قال عليه الصلاة والسلام: العلم علمان: فعلم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم.

الجامع الصغير

كل شيء تتعلمه، وتخالفه في حياتك اليومية فهو حجة عليك، وحجة كبيرة من الله عز وجل ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

2. الإسلام استسلام لله:

هذا الإسلام، الاستسلام لأمره، الخضوع له، الانتمار بما أمر، الانتهاء عما نهى وزجر. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ۖ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ ۗ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى ۖ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67)

سورة غافر

هذا هو الإنسان في جميع مراحل:

1. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

وكتوضيح بسيط: ابنك يولد ووزنه ثلاثة كيلو غراماً، الآن وزنه سبعة وستون كيلو غراماً، مثلاً، الأربعة والستون كيلو من أين جاءت؟ من الطعام والشراب، من الأغذية، من اللحوم، من الخضراوات، من الفواكه، من الخبز، فهذه الأغذية من أين جاءت؟ من التراب، فهذا المعنى البسيط. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أو المعنى الآخر: سيدنا آدم من تراب، وسيدنا آدم كان من نسله بنو البشر.

2. ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ما هي النطفة؟

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ما هي النطفة؟ هي حويين صغير جداً له رأس مدبب، وله عنق حلزوني، وله ذيل، كل ثلاثمائة مليون حويين تعادل سنتيمترين مكعبين أو ثلاثة، في اللقاء ينطلق ثلاثمائة مليون البويضة تحتاج إلى حويين واحد، هذا الحويين فيه معلومات، فيه مورثات حوالي خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة، فالحديث عن الحوين، وعن اللقاح، وعن البويضة، وعن علم الأجنة شيء لا يُصدَّق، فرينا عز وجل قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾.

3. ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ

بعدما تتلَفح البويضة، وتتجزأ إلى عشرة آلاف جُزْيء، وهي في طريقها من المبيض إلى الرحم في الأنبوب، دون أن يزيد حجمها، لو زاد حجمها لوقفت في مكانها، بعد أن تصل إلى الرحم تنغرس في الرحم، وعندئذ تكون علقه.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ مثل جلطة صغيرة، أحياناً تجد الطبيب يسحب من شريان جلطة دم، إذا: من مراحل خلق الإنسان العلقه.

4. ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ طفل له عيانان، له أذنان، له أنف، له لسان، له فم، له قلب، له رئتان، له عضلات، له عظام، له أنسجة، له معدة، أمعاء، بنكرياس، كبد، صفراء، نخامية، خلايا عصبية، شيء لا يُصدَّق، من نطفة، من حوين منوي مع بويضة لا تراهما العين المجردة إلى إنسان كامل.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ الطفل صغير لا يقوى على أن يمشي، لا يقوى على أن يتكلم، يحتاج لمن ينظِّفه، لمن يطعمه، إلخ.

5. ثُمَّ لَتَبَلُّوا أَسْدَكُمْ

﴿ثُمَّ لَتَبَلُّوا أَسْدَكُمْ﴾ يصبح مثل الحصان في سن السابعة عشرة، يتكلم، يقفز كل خمس درجات معاً، يلعب، يذهب، يأتي، أين كان؟ ثم هو عظام متينة، أسنان،... الخ.

6. ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا

﴿ثُمَّ لَتَبَلُّوا أَسْدَكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ تجد شخصاً يقفز عشر درجات بينما آخر درجةً درجة، ترى شخصاً منتصب القامة، وآخر منحنى الظهر، هذا شخص من دون نظارات وآخر بنظارات، أحدهم شعره أسود وآخر قد شاب، أحدهم عموده الفقري منحنٍ قليلاً، والآخر عموده مستقيم، تجد هذا وتجد ذلك.

7. الموت الحتمية الأكيدة في الصغر أو الكبر:

﴿لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ﴾ فالإنسان قد يموت في شبابه، الموت ليس له ترتيب، ليس له قانون ثابت.

﴿مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبَلُّوا أَجْلاً مُسَمًّى﴾ أي أنّ الإنسان له عند الله أجل لا ينقص ولا يزيد، لو أيقن به لما اضطرب أحد أو خاف، وكثيراً ما يقول الطبيب: المريض سيموت، اذهبوا به إلى البيت، واكتبوا النعوة، ثم يعيش المريض بعد الطبيب اثنتي عشرة سنة، إذ يموت الطبيب، والمريض يعيش بعد موت الطبيب اثنتي عشرة سنة مثلاً، فالمرض لا يميت، الذي يميت انتهاء الأجل، هذه الحقيقة إذا آمنًا بها أصبحنا شجعاناً.

كثرت بين الناس أمراض القلب، وأساسها الخوف من أمراض القلب، وأحياناً يصاب القلب بآفات بسبب وهم الإنسان من أمراض القلب، أما إذا أيقن الإنسان أن انتهاء حياته أمر خطير جداً، وهو بيد الله، ولا تنتهي حياته إلا إذا أراد الله عز وجل، أما الأمراض ليس لها علاقة بالموت.

وَلْتَبَلُّغُوا أَجَلَ مَسْمًى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)

سورة غافر

خلق، ويحيي ويميت.

فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فهذه الآية عجيبة جداً، كن فيكون، دونما اعتبار للزمن، الإنسان هذا المخلوق الضعيف اخترع حواسب، فقد يحتاج شيء ما إلى عمل شهرين من دون حاسوب، فالحاسوب ينجزه في خمس ثوانٍ، فإذا اختصر الإنسان الزمن من شهرين إلى ثوانٍ، فالله عز وجل إذا التغى الزمن بأمره فهذا شيء طبيعي جداً، كن فيكون، عند الله لا يوجد زمن. الآية قبل الأخيرة:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (69)

سورة غافر

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ

1. المكذَّب بآيات الله منحرف السلوك:

هناك شيء لو وقع لكنت مشكلة؛ أن يكون إنسان يكذب بآيات الله، ولكنه مستقيم، وأخلاقي، ويجب الخير، والحق أنك لن تجد إنساناً يكذب بآيات الله إلا وهو منحرف، له أعمال سيئة، له مشاعر ليست راقية، له تصرفات خاطئة، يحب ذاته، يعتدي على أعراض الناس، يعتدي على أموالهم، قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ أين يمضي سهراته؟ ومع من يمضيها؟ كم يرتكب من معاصٍ؟

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1)

سورة الماعون

قال:

فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

سورة الماعون

هو نفسه.

فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

سورة القصص

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ أحياناً إذا ناقشك إنسان، وأراد أن يكذب بهذا الدين، بهذا الكتاب، هو أقل شأناً من أن تناقشه، انظر ماذا يفعل، انظر إلى دخله، إلى تصرفاته، ولقاءاته، وندواته، وسهراته، كيف يعتدي على أعراض الناس، كيف يعتدي على أموالهم، هكذا قال الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾

2. المؤمن أخلاقي:

الحق عظيم، المؤمن أخلاقي، المؤمن قد نور الله عز وجل قلبه، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذ له لعله، فكلمة مؤمن مرتبة أخلاقية، على مرتبة جمالية، على مرتبة علمية، المؤمن عالم، وصاحب ذوق وأخلاقي، المؤمن الحقيقي لأنه يمثل هذا الدين، اصطبغ بالكمال الإلهي، اصطبغ بتطبيق السنة النبوية، فلن تجد مؤمناً خائناً، لن تجد مؤمناً حقوداً، ولا حسوداً، ولا دنيئاً، ولا أنانياً، المؤمن لا يكون بخيلاً، ولا يكون جبناً، هذا مستحيل، الإيمان هدبه، والإيمان صبغه.

فهؤلاء الذين يجادلون يريدون أن يطفئوا نور الله، يريدون أن يلغوا عظمة هذا الدين، يريدون أن يبتدعوا نظماً جديدة، تشريعاً وضعياً، يطعنون في الدين، وفي صلاحية الدين لهذا الزمان، هؤلاء الذين يجادلون، قال سبحانه: ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70)

سورة غافر

تهديد الله للمكذب بآياته:

هذا تهديد.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ طبعاً فرعون كذب سيدنا موسى، وقال:
﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (24)

سورة النازعات

وقال:

إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمُتْلَى (63)

سورة طه

لكن ما الذي حصل؟ أنه حينما أدركه الغرق قال:

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

سورة يونس

البطولة من يضحك أخيراً، فلمن العاقبة إذا؟ الله قال:

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)

سورة القصص

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ بطولتك ليست في أول
جولة، بل في آخر جولة، في نهاية المعركة من المنتصر؟ في نهاية الحياة من الرابح؟ عند ملاقاته الله
من الفائز؟ عند الدخول في القبر من الناجي؟ هنا البطولة.
فالعاقل هو الذي يعمل لينجو في المستقبل الذي لا بد منه، أما الجاهل فهو يعيش لحظته،
ويفرح بتفوقه في الدنيا.

قال:

فَسَوْفَ يَغْلَبُونَ (70) إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا
مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ (75)

سورة غافر

ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

1. لا تفرح بغير الحق:

الإنسان أحياناً يفرح بالمال الحرام، يفرح أنه اغتصب هذا البيت، هذا المحل خلصه من شركائه،
وألقي بهم بعيداً، يفرح أنه استطاع أن يأخذ هذا المال من الورثة، عمل ترتيباته، كتّب والده تصريحات
وديوناً وهمية، واستطاع أن يأخذ كل الإرث، ويستولي عليه، وترك إخوته جائعين ضائعين، يظن أنه ذكي
حاذق ماهر، فربنا عز وجل قال: ﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

2. ما الذي يفرحك؟

لذلك: قل لي ما الذي يفرحك أقل لك من أنت، ما الذي يفرحك؟ مال حرام تكسبه بأسلوب غير
مشروع؟ إذا أنت لا تعرف الله إطلاقاً، تفرح إذا أكلت مال الناس؟ إذا عشت ومات الناس؟ تفرح إذا

حصّلت شيئاً على حساب دينك؟ تفرح إذا كذبت وربحت؟ تفرح إذا غششت وربحت؟ هل تفرح؟ قال: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ المرح هو اللعب واللهو وعدم التفكّر بالمسؤوليّة والمستقبل، قال:

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)

سورة غافر

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ

العبرة بالمصير:

هذا المصير، فلذلك البطولة في المصير، والغنى والفقر بعد العرض على الله.

إذا حضر شخص مائتي وليمة، وكل وليمة أحلى من أختها، وليلة من الليالي ألمه ضرسه، ولم يستطع أن ينام الليل، إن يتذكّر عزيمة فهل يسكن ألم ضرسه؟ إن تذكر أكلة أكلها طيبة فهل يذهب الألم؟ أعوذ بالله، الآن واقعه ألم، وكل الماضي انتهى، كل شيء حصّله من لذات الدنيا زال، بقي الألم، هذا واقع الإنسان إن لم يعرف الله عزّ وجل، كل أيام الدنيا التي أمضاها في اللهو، واللعب، والمرح، والمباهج، واللذات، والسهرات المختلطة، والنزّهات الرائعة، والمعاصي، والموائد الخضراء، والموائد الحمراء، والمجتمع المخملي، هذا التعبير المهذّب للفسق والفجور، كل هذا الذي أمضاه في الدنيا عند الموت لا شيء، بقي عمله السيئ، وسوف يدفع ثمن عمله بالتمام والكمال.

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فِيمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَاإِنَّا يُرْجَعُونَ (77)

سورة غافر

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فِيمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَاإِنَّا يُرْجَعُونَ

1 . إخبار الله بالغيب كرؤيته بالعين:

قال ربنا عزّ وجل:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

سورة الفيل

من منكم رأى أحداث هذه القصة؟ لا أحد منا رآها حتى أنا لم أرها، لكنّ الله قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ العلماء قالوا: خبر الله لأنه صادق مئة في المئة كأنك تراه. الآن المستقبل، الله قال:

وَأَذَقَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ
 سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا
 فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)

سورة المائدة

فهذا الكلام لم يحدث بعد، لكنه سيكون يوم القيامة، ولكن لاحتمية وقوعه صاغه الله بالفعل
 الماضي، الله قال:

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)

سورة النحل

معنى هذا أنه لم يأت بعد، ولكن كيف قال سبحانه: "أتى فلا تستعجلوه"؟ هذا الفعل الماضي في
 القرآن يعبر الله به عن المستقبل لتحقق الوقوع، لذلك وقوع وعد الله ووعيده كأنه وقع، قال: ﴿فَاصْبِرْ﴾

2. لا بد من الصبر لأن مصير الكافر إلى الله:

أحياناً يكون المؤمن ضعيفاً مستضعفاً، وأحياناً يكون فقيراً، وأحياناً يكون من الطبقة الدنيا في
 المجتمع، فأنت المتفوق، وأنت الراجح، وأنت الفائز، وأنت الناجح، وأنت السعيد، وأنت الملك ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وعدك بالنصر، وعدك بالتأييد، وعدك بالتوفيق، وعدك بالسعادة، وعدك بالعفو، وعدك
 بالمغفرة، وعدك بجنة عرضها السماوات والأرض، وعدك بقبر روضة من رياض الجنة، وقد يكون حفرة
 من حفر النيران كفر.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعُضِّ الذِّبْيِ نَعِدُهُمْ أَوْ نَنوْفِيئِكَ فَإِنِنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي إن
 رأيت مصيرهم في الدنيا أو لم تر فلا بد من أن يلقوا المصير المؤلم.
 وفي الدرس القادم إن شاء الله ننتقل إلى الآيات التالية:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ
 لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُنْظِلُونَ (78)

سورة غافر

والحمد لله رب العالمين.